طموحات إيران وإسرائيل النووية وانعكاساتها على منطقة الشرق الأوسط

أ/عبلة مزوزي - جامعة المسيلة
طالبة دكتوراه - جامعة باتنة1

ملخص:

يشكل التحدي النووي الإيراني تهديدا حقيقيا للأمن الإقليمي خاصة في ظل العداء الذي تكنه إيران لإسرائيل مما يضعهما في مواجهة نووية مباشرة في حال ما توصلت إيران لبناء ترسانة نووية مماثلة لإسرائيل لذلك تعالج هذه الدراسة طبيعة كل من البرنامجين النوويين الإيراني والإسرائيلي، والتحديات التي يطرحها كل طرف على الآخر ومدى انعكاسات ذلك على منطقة الشرق الأوسط.

Abstract:

The Iranian nuclear challenge present a real threat to the regional security, especially under the enmity between Iran and Israel which putting them in a direct nuclear confrontation if Iran achieves to the establishment of a nuclear arsenal similar to the Israel one. Therefore this study treats the nature of the both nuclear programs Iranian &Israel, and the ambitions supposed by one to the other side, and the effects of that on the area of the Middle East **.**

مقــدمة:

شكل الردع النووي مع مرور الزمن أحد أهم العوامل التي ساهمت في تزايد القوى النووية في العالم، رغم الخطورة التي تحملها هذه الأسلحة إلا أن المكانة التي حظيت بها خلال الحرب الباردة ساهمت في حسم صراع بين قوتين دام طويلا نتيجة ادراكهما لخطورة الدخول في حرب بمثل هذه الأسلحة، ومع نهاية الحرب الباردة جعلت كل هذه المعطيات من الرادع النووي الذي حقق الاستقرار العالمي حافزا لظهور روادع إقليمية

خاصة في المناطق التي تشهد توترا كبيرا، وتعاني من فراغ كبير ناتج عن تعدد القوى الاقليمية التي أصبحت تبحث عن دور أساسي في الاقليم.

منطقة الشرق الاوسط تحمل كل هذه الصفات التي تجعل منها أكبر بؤرة توتر في العالم، وقد شهدت هي الاخرى نشاطا نوويا غير ظاهر خلال فترة الحرب الباردة (البرنامج النووي الإسرائيلي) ثم توالت التطورات بعد نهاية الحرب الباردة بدخول أطراف اخرى الى الواجهة النووية على غرار إسرائيل كالعراق وإيران ترى في أن النشاطات النووية ستجعلها قادرة على بناء منظومتها الأمنية وتحقيق نوع من الاستقرار الاقليمي بوجود قوى متكافئة نوويا. إلا أن النجاح والتطور الذي يعرفه البرنامج النووي الإيراني، وترافقه مع تغير في طبيعة النظام السياسي عام 1979 وجه الانظار الإقليمية والدولية لهذا البرنامج الذي أصبح أحد أهم الأولويات في السياسة الأمنية الإيرانية، ويشكل من جهة أخرى رادعا للبرنامج الإسرائيلي في المنطقة بعد زوال خطر البرنامج العراقي. وأمام هذه الوضعية النووية الجديدة في منطقة الشرق الأوسط وتزايد التنافس بين الطرفين في ظل غياب مشاريع نووية عربية يركز هذا المقال على دراسة.

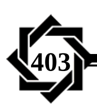
ما طبيعة كل من البرنامجين النوويين الإيراني-الإسرائيلي ومدى انعكاساتهما على منطقة الشرق الوسط؟

نحاول عبر هذا المقال تحليل الإشكالية انطلاقا من ثلاث محاور:

1- قراءة في البرنامجين النوويين الإيراني والإسرائيلي
2- التحديات التي يطرحها كل طرف على الاخر
3- مستقبل المنطقة في ظل التنافس النووي بين الطرفين

المحور الأول: قراءة في البرنامجين النوويين الإيراني والإسرائيلي

أ- **البرنامج النووي الإيراني**: لم يكن للمسألة النووية الإيرانية التي بدأت في عهد الشاه رضا بهلوي كل هذه الخصوصية والتميز عن باقي البرامج والمشاريع النووية العالمية، فالعلاقات التي عرفتها إيران مع الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل في تلك الفترة لم تجذب اليها الانظار حول طموحات إيران النووية، ولم تثر كل هذا الجدل القائم اليوم والذي أثار تساؤلات ومخاوف العديد من الدول والمنظمات الدولية



والمراكز البحثية الغربية والعربية على حد السواء حول طبيعة هذا البرنامج ودوافعه، خاصة بعد التغير الذي عرفته إيران عام 1979، والتحول الجذري على مستوى علاقاتها مع الولايات المتحدة الامريكية وإسرائيل من جهة ومع بقية الدول بشكل عام التي تراوحت مواقفها بين مؤيد ومعارض لهذا النظام.

هذه المواقف المتعارضة مع طبيعة هذا النظام أخذت طابعا أساسيا ومركزيا رافضا لكل مظاهر التطور والتقدم على مستوى البرنامج النووي الإيراني، وزادت وتيرة التخوف منه مع تزايد حدة الخطابات الرسمية الإيرانية الرافضة لكل السياسات التحديثية في إيران والقائمة على النمط الغربي، ومع هذا التحول عرف البرنامج النووي الإيراني مراحل عدة نفهم عبرها طبيعته ودوافعه:

– **مرحلة التأسيس والنشأة قبل ثورة 1979:** نظرا لعلاقات التعاون التي عرفتها إيران مع الولايات المتحدة الامريكية في فترة الشاه محمد رضا بهلوي الذي كان يعتبر الحليف الموثوق فيه ضد الاتحاد السوفيتي سابقا، استطاعت إيران افتكاك وتوقيع عقود شراكة معها في العديد من المجالات وعلى رأسها المجال النووي الذي أسس لبداية تحقيق حلم سيساهم في تعزيز مكانة الدولة ويضعها في مصاف القوى النووية الكبرى .وقعت إيران عام 1957 اتفاقا للتعاون النووي مع الولايات المتحدة الامريكية مدته 10 سنوات استطاعت من خلاله التزود بعدة كيلوغرامات من اليورانيوم المخصب، هذا إلى جانب توفير المساعدات والخبرات المتخصصة في الشؤون النووية. كما أمدت الولايات المتحدة الأمريكية إيران بمفاعل بحثي قدرته 5 ميجاواوت عام 1967، إلى جانب الاتفاقيات الأخرى المبرمة مع دول غربية كفرنسا وألمانيا، واستطاعت الاتفاق مع شركة سيمنس الألمانية لإقامة مفاعلين في بوشهر طاقة كل منهما 1200 ميجاوات، وتم إنشاؤهما عام 1976[1].

- **تطورات البرنامج مع نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية عام** 1979: لم يكن من المتوقع أن يحدث هذا التغيير التام في النظام السياسي الإيراني، خاصة بعد محاولات الشاه في فترة حكمه الامتثال إلى النماذج الغربية الأوربية في إعادة تكوينه للمجتمع الإيراني فجاءت الإطاحة بنظامه لتعلن عن نموذج مغاير تماما ومعاكس لذلك النموذج

المراد تجسيده، ومع التغير في طبيعة النظام تغيرت معه الكثير من المعطيات خاصة كل ما يتعلق بتطورات البرنامج النووي، فاللهجة الجديدة للقادة الايرانيين ومواقفهم من الغرب وإسرائيل ساهمت في توتر العلاقات بينهم، مما أدى مباشرة إلى توقيف تام وعرقلة لكل ما يتعلق بالاتفاقيات المبرمة لتطوير المفاعلات النووية.

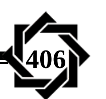
فشلت بعدها ايران في اقناع الدول الغربية باستئناف تعاونها في المجال النووي خاصة ألمانيا واسبانيا اللتين رفضتا استكمال مفاعل بوشهر، انتقلت بعدها إيران مباشرة إلى الاعتماد على دول أخرى كالأرجنتين والصين، هذه الأخيرة التي قام الرئيس الإيراني آنذاك أكبر رافسنجاني بزيارتها عام 1992، وتم الاتفاق على امداد إيران بمفاعل يعمل بالماء الثقيل، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوربية أقنعت الصين بتوقيف الاتفاق وتم ذلك فعلا(2). فردة الفعل الأمريكية اتجاه متابعة تمويل هذا المشروع ناتجة عن التخوف من امتلاك إيران لمقومات القوة التي تؤسس لدور إقليمي يعيق المصالح الأمريكية.

استطاعت ايران بإدراكها لمقومات روسيا في المجال العسكري والنووي افتكاك عقود واتفاقات مشتركة لاستكمال المفاعل النووي بوشهر، ووافقت روسيا على ذلك لإدراك هذه الاخيرة طبيعة التنافس الذي لا يزال قائما بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية. فكانت مساعدة ايران هي فرصة لمواجهة التمدد الامريكي وعودة روسية إلى المنطقة. بدأت علاقات التعاون بين روسيا وإيران تأخذ مجراها مع توقيع عقد بينهما لإكمال المفاعل النووي بقيمة 800 مليون دولار للوصول بالمفاعل إلى درجة انتاج 1000 ميجاوات أي نحو 18% من الطاقة النووية صالحة بحلول عام 2020، على أن يتم استكمال التعاون بإنشاء مفاعلات أخرى في أنحاء متفرقة في الدولة(3). ولم تقف المحاولات الإيرانية عند روسيا فقط، وإنما أتبعتها باتفاقيات مع دول أخرى كالجمهوريات السوفيتية الإسلامية وكوريا الشمالية، وجنوب إفريقيا للحصول على التكنولوجيا النووية المتقدمة، وفعلا نجحت إيران في استقطاب العديد من الأطراف لتطوير برنامجها.

- **تطورات البرنامج النووي بعد أحداث 11 سبتمبر2001**: تعتبر أحداث 11 سبتمبر 2001 مرحلة هامة في تاريخ البرنامج النووي الإيراني، حيث كانت بمثابة الطريق الذي مهد للولايات المتحدة الأمريكية لكي تحظى بإجماع دولي للتصدي لأي خطر يهدد مصالحها، خاصة بعد محاولاتها الكثيرة إقناع روسيا والصين والوكالة الدولية للطاقة النووية بخطورة السماح لإيران بتطوير برنامج نووي، إلا أن الرفض الدولي كان مبني على عدم وجود أي مبررات مقنعة تؤكد على عدم سلمية هذا البرنامج، وأحقية أي دولة في اكتساب هذه التكنولوجيا مادام في اطار احترام معاهدة حظر الانتشار النووي. أمام التهديدات الجديدة وخرق الأمن الأمريكي عام 2001، وجدت الولايات المتحدة الأمريكية المصوغات والمبررات التي تمكنها من التصدي لهذه القوى الناشئة، وكان ذلك بإعلانها في وثيقة الأمن القومي الأمريكي عن استراتيجيتها الجديدة لمحاربة الإرهاب الدولي الممثل في بعض الدول والمنظمات، وصنفت على إثرها ايران والعراق وسوريا ضمن قائمة الدول المارقة.

مع هذه النقلة المهمة في السياسة الأمريكية ودخول هذه الأخيرة حربين متتاليتين في الشرق الأوسط(أفغانستان، العراق)، بدأ التهويل يطال البرنامج النووي الإيراني خاصة بعد الخطوة التي خطتها إيران في بناء منشأتين نوويتين جديدتين في منطقة آراك وناتانز لتخصيب اليورانيوم دون رقابة من الوكالة الدولية للطاقة، وهذا كان إنذارا بسعي ايران وطموحها لامتلاك الأسلحة النووية. وتزامن ذلك مع اكتشاف الوكالة الدولية للطاقة عام 2003 آثارا مأخوذة في شكل عينات من البيئة الإيرانية تؤكد على وجود مستويات عالية لتخصيب اليورانيوم متطابقة مع المواد المستخدمة في انتاج السلاح النووي[(4)].

أمام هذه التهديدات الدولية بدأت الاعترافات الإيرانية المتتالية ببنائها لمنشآت أخرى وعن حصولها على معدات الطرد المركزي المساعدة في تخصيب اليورانيوم من بعض الدول والشبكة السرية للإتجار في المواد والأجهزة النووية في السوق السوداء، وبناء وحدة لإنتاج الماء الثقيل[(*)] في بلدة آراك لبناء مفاعل بحثي تجريبي لأغراض البحث ما جعل من البرنامج النووي يوضع ضمن أولويات وكالة الطاقة الدولية التي سعت إلى



توقيع اتفاقية الضمانات مع هيئة الطاقة النووية الإيرانية وحددت طبيعة الانتهاكات الإيرانية، وطالبت الوكالة من إيران السماح للمفتشين الدوليين بزيارة كل المحطات لأخذ عينات، وأمام محاولات الولايات المتحدة الأمريكية للضغط على إيران سعى الرئيس خاتمي برؤيته الإصلاحية إلى الإعلان عن تعاون إيران مع الوكالة لإثبات أنها لا تخفي أي برامج سرية لإنتاج أسلحة نووية(5). ورغم كل التخوف الدولي من البرنامج النووي الإيراني، والضغوطات الإقليمية والدولية لتوقيف هذا البرنامج، إلا أن إصرار ايران امتلاك الخبرة النووية ظل قائما خاصة مع تولي التيار المحافظ للحكم، والمعروف بتشدده اتجاه علاقاته مع الغرب وإسرائيل وتعامل مع هذا البرنامج كهدف أساسي لبناء المنظومة الدفاعية الإيرانية، حيث واصلت إيران تطوير عملها ضمن هذه التكنولوجيا في عهد الرئيس أحمدي نجاد، وأمام هذه التطورات أعلن الرئيس الايراني أحمدي نجاد عام 2006 على أن إيران اتخذت بعض الخطوات التي تجعلها مكتفية نوويا، وذلك باستعراض النجاح الذي حققته في تركيب 164 جهاز طرد مركزي وتخصيب اليورانيوم فعليا. وتبقى هذه الحقائق التي يستعرضها القادة الايرانيين غير قابلة للتصديق في ظل التسارع الذي عرفه هذا البرنامج على خلاف البرامج النووية المعروفة كباكستان والهند وكوريا الشمالية(6) والتي تطلبت مسيرتها النووية فترات زمنية طويلة هذا الى جانب التقدم والخبرة العلمية والموارد الموجودة لاستكمال بناء هذه الترسانة.

استطاعت إيران بتعاملاتها الايديولوجية والبراغماتية خلال كل هذه السنوات من المتابعة الدولية لبرنامجها النووي أن تقتنص لنفسها فرصة، فما عرفته المنطقة بعد ثورات الربيع العربي من تحولات مكن إيران من أداء دور هام خاصة مع تطورات وتصاعد الأزمة السورية عام 2013. التي تطلبت تدخلا دوليا سريعا جعل كل من ايران وروسيا أحد أهم الأطراف الاساسية لحل الازمة مقابل الولايات المتحدة الأمريكية، هذه الأخيرة التي لطالما لم تعرف علاقاتها مع إيران طابعا تعاونيا إلا من خلال هذه الأزمة. مع هذا لا يجب نفي طموحات ايران في امتلاك التقنية النووية، والوصول بهذه الاخيرة لمنافسة أطراف اقليمية وأخرى دولية مستظهرين هذا في المنشآت والمحطات

ومراكز البحث والمواقع العسكرية الموجودة واقعيا والتي تؤكد على مضي إيران لتحقيق هذا الطموح، والتي تنقسم إلى مواقع رئيسية وأخرى ثانوية وهي[7]:

1) **المواقع الرئيسية**: تتنوع هذه المواقع بين مراكز أبحاث ومفاعلات نووية ومواقع لتخصيب اليورانيوم ومناجم اليورانيوم، وهي منتشرة على امتداد مساحات كبيرة في الدولة نذكر منها:

- **مجمع بوشهر النووي**: لا يكاد الكلام عن الملف النووي يذكر إلا وسلط الضوء معه على هذا المجمع، وهو من المحطات الأولى التي سعت إيران إلى إنشائها بمساعدات أمريكية وأوربية في عهد الشاه عام 1975، ويقع على الساحل الشرقي للخليج العربي استكمل العمل على هذا المفاعل بمساعدات روسية وصينية حيث تمت تعبئة أولى محطات الطاقة النووية بوقود مصنع في روسيا عام 2010.

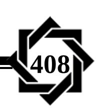
- **مجمع أصفهان التكنولوجي النووي**: هو عبارة عن مركز بحثي تابع لجامعة أصفهان ويعتبر القاعدة الأساسية للبرنامج النووي الايراني نظرا لاحتوائه عددا كبيرا من مراكز البحوث والإنتاج. بدايات العمل عليه كانت بالاتفاق المبرم مع فرنسا لبنائه عام 1975، وتم افتتاحه بمساعدة صينية عام 1990 يحوي مفاعلين نوويين.

- **مركز طهران للبحوث النووية**: يعتبر هذا المركز من المصادر العلمية التي توفر الخبرة والمعرفة اللازمة في المجال النووي.

- **محطة نطنز**: هي من المواقع النووية الكبرى في إيران تقع بين منطقتي أصفهان وكاشان، وتحوي المحطة قسمين الاول يعمل فوق الأرض والثاني موجود تحت الأرض بدأ العمل فيها عام 2007، وتعرضت المحطة لهجومات بعدة فيروسات إلكترونية من طرف الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل لتوقيف عملها وتخريبها خاصة عام 2010.

- **منشأة آراك**: تتواجد في غرب العاصمة الإيرانية طهران تحتوي على مفاعل بحثي يعمل بالماء الثقيل بقدرة 40 ميغا واط، وتعمل على إنتاج البلوتونيوم كمنتج ثانوي وهو خاضع لرقابة الوكالة الدولية للطاقة[8].

- **منجم غشين**: يقع في جنوب إيران، ويتم فيه تعدين خامات اليورانيوم .



- **منجم صفند:** يعتبر من أكبر مصادر اليورانيوم في إيران يقع في محافظة يزد، وتبلغ قدرته الإنتاجية لليورانيوم حوالي 50 طنا من اليورانيوم سنويا.

2) **المواقع الثانوية:** يمكن إحصاء أهم هذه المواقع الثانوية عبر النقاط التالية:

- منشأة فوردو النووية، جاء تأكيد إيران على امتلاكها عام 2009، تقع بمنطقة جبلية جنوب طهران يتم فيها تخصيب اليورانيوم إلى نسبة 20% .
- منشأة آب علي، الواقعة في طهران وتستخدم لاختبار أجهزة الطرد المركزي.
- موقع معاليم كاليه(كازفان)، يقع بالقرب من بحر قزوين وخاضع لسيطرة الحرس الثوري الإيراني.
- مركز بوناب لبحوث الطاقة النووية، والذي يحوي مفاعل نووي بحثي روسي الصنع.
- مركز الابحاث الدفاعية التابع لوزارة الدفاع.
- مركز بابول لإشباع اليورانيوم، والذي يستخدم لتطوير البحث الذري.

إلى جانب هذه المواقع النووية المتنوعة دعمت ايران قدراتها النووية بتطوير على مستوى الأسلحة، حيث عملت على إنتاجها والإعلان عنها وإجراء تجارب اطلاق كصواريخ شهاب التي أعلنت عنها عام 2000 وشهاب 4 التي يصل مداها إلى 3500 كيلومتر وشهاب5 مداها يصل إلى 5000 كيلومتر[(9)]، ومع تشدد الخطاب الإيراني في عهد أحمدي نجاد الذي أكد في العديد من المرات على أن إيران دولة نووية وتملك قدرات هائلة لتخصيب اليورانيوم زاد هذا من مخاوف التطور النووي الممكن أن تصل إليه، والذي يضعها مباشرة في مواجهة البرنامج النووي الإسرائيلي والذي من الممكن أن يؤدي الى مواجهة نووية عنيفة.

ب- **البرنامج النووي الإسرائيلي:** رغم تبني إسرائيل لاستراتيجية الردع بامتلاكها للسلاح النووي، إلا أن الغموض الذي يكتنف برنامجها النووي ظل يرافقها لحد الآن، ومع تصريحات القادة الإسرائيليين في الكثير من المرات بحجم القدرات العسكرية



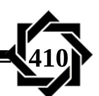
والنووية، إلا أن ذلك لم ترافقه الكثير من الإثباتات الإمبريقية على ذلك، ولحد الآن لم تستعمل إسرائيل سلاحها النووي كأداة عسكرية في حروبها العديدة.

إن الحديث عن البرنامج الإسرائيلي صعب بسبب السرية المحيطة به، ومع ذلك يمكن الاستناد إلى بعض الشواهد التي تؤسس لفهم حقيقة هذا البرنامج وجل تطوراته. ولدراسة هذا البرنامج يجب الارتكاز على النقاط التالية لفهم مراحل تطوره:

1) **الأطراف الداعمة لبناء البرنامج**: تعود البدايات الأولى للبرنامج النووي الإسرائيلي إلى عام 1948 مع تأكيد رئيس الوزراء ديفيد بن جوريون بضرورة امتلاك السلاح النووي كخيار استراتيجي، حيث أعلن عام 1952 عن انشاء لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية من داخل المؤسسة العسكرية وجعلها تحت إشراف وزارة الدفاع(10) خاصة وأن المنطقة كانت خالية من منافسين، وبمجرد الحصول على هذه التقنية الجديدة تكون إسرائيل قد خطت أول خطوة في بناء منظومتها الدفاعية والهجومية. وكأي برنامج نووي في طور الإنجاز، فان اسرائيل لم تعمل بمفردها لتصل إلى هذا المستوى من التطور النووي لولا المساعدات التي تلقتها من الاطراف الدولية المالكة لتلك الخبرة، وكان لكل من فرنسا والولايات المتحدة الامريكية بدرجة كبيرة دورا فعالا في نقل الخبرة والإمكانيات اللازمة لبناء هذه الترسانة.

بدأت علاقات التعاون الإسرائيلية الفرنسية في التكنولوجيا النووية مع بداية الخمسينيات، حيث تعتبر فرنسا من الدول الأولى التي ساهمت في بناء المشروع النووي الإسرائيلي وتطويره، وهي أحد أهم الأعضاء المولين له سواء بالخبرة أو الامكانيات الضرورية بناء على مبدأ المقايضة بين الطرفين، حيث كانت إسرائيل تملك بعض الاكتشافات في مجال الكومبيوتر والتي لم تستطع فرنسا امتلاكها إلا عن طريق مقايضتها بخبرتها النووية، وانعكس ذلك التعاون بين الطرفين بتوقيع اتفاق في 17 سبتمبر 1956 والذي يقضي ببناء مفاعل نووي من طرف فرنسا لإسرائيل في ديمونة في صحراء النقب(11).

يؤكد الباحثان برينڤل وسنڤالمن (Pringle and Singleman) في كتابهما بارونات الذرة (Nuclear Barons) على محاولات إسرائيل الحصول على القنبلة



الذرية وقد قام فرنسوا بيرن الذي كان رئيسا للوكالة الذرية الفرنسية من عام 1951 حتى 1970 بإعانة إسرائيل وإمدادها بالوثائق اللازمة حول كيفية الإنتاج الفعلي لمثل هذه الأسلحة(12) هذا إلى جانب الوفود والبعثات التي كانت ترسل إلى فرنسا من أجل إكسابها الخبرة.

إلى جانب فرنسا تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية الشريك الماضي والحاضر والمستقبلي الذي لا يمكن الاستغناء عنه، حيث استطاعت إسرائيل أن تستند على طرف قوي في بناء منظومتها النووية خاصة وأن الخبرة الامريكية لا تضاهى في المجال النووي ويظهر التعاون الامريكي الاسرائيلي أولا في السكوت الأمريكي عن التجاوزات الإسرائيلية في نشاطاتها النووية، وعدم قبول اسرائيل التوقيع على معاهدة انتشار الاسلحة النووية لكي لا تسمح لأي طرف دولي أن يقوم بعمليات تفتيش على مستوى منشآتها النووية. هذا إلى جانب تقديم المساعدات المالية والتقنية لإنشاء المفاعل النووي في (ناحال سوريك)، وشاركت في الأبحاث النووية التي كان يجريها معهد وايزمان مع القيام بتمويل مشاريع المعهد وتدريب الخبراء الإسرائيليين في المنشآت النووية الامريكية وإمدادها بالمواد النووية الاولية لإدارة مفاعلاتها النووية(13). وتشير كذلك العديد من التقارير عن تهريب بعض المواد النووية بطريقة غير شرعية كاليورانيوم المشبع الصالح لإنتاج الاسلحة الخاص بالشركات الامريكية الموجودة بأبوللو في بنسلفانيا، وهي شركات تعاونية للمواد والتجهيزات النووية. فرغم التزام الولايات المتحدة الامريكية بسياسات عدم الانتشار النووي علنا إلا أنها مع اسرائيل حليفها الرئيس في المنطقة مهدت الطريق وسهلت لبناء الترسانة النووية الاسرائيلية دون أي عراقيل ومع تسهيلات ومساعدات جعلت منها سادس قوة نووية في العالم(14). الى جانب الاتفاقيات والأطراف الأساسية المساهمة في بناء الترسانة النووية الإسرائيلية لجأت هذه الأخيرة أيضا إلى الاعتماد على دول أخرى كجنوب افريقيا، وما يؤكد على العلاقات القوية بينهما في هذا المجال هو التفجير الاختباري النووي المشترك بين اسرائيل وجنوب افريقيا عام 1979 حسب ما رصده القمر الصناعي الأمريكي(15).

2- المنشآت والمراكز البحثية العلمية النووية: من الشواهد الاخرى التي تؤكد على مراحل تطور وبناء الترسانة النووية الإسرائيلية هو المنشآت الاساسية التي تشكل القاعدة الأساسية لبناء المفاعلات النووية وصناعة القنبلة النووية، إلى جانب مراكز البحث والمؤسسات العلمية التي توفر المعرفة العلمية والخبراء في هذا الجانب ومن بين أهم هذه المنشآت والمراكز العلمية نذكر(16):

- **منشأة ديمونا:** أكثر المواقع المهمة والمعروفة في البرنامج النووي الإسرائيلي، في أكتوبر 1957 قرر انشاء هذا المفاعل بالنقب الشمالي، وأكمل بنائه عام 1962 وفي عام 1964 تم تشغيله بمساعدة فرنسية وصمم المفاعل بتصميم مماثل للمفاعلات الامريكية الموجودة في ولاية كارولينا.

- **موقع يوديفات،** الذي يبعد عن حيفا حوالي 30 كلم يتم فيه تفكيك وتجميع الاسلحة.

- **موقع عيلبون،** يتم في هذا الموقع تخزين الاسلحة النووية التكتيكية.

- **موقع بير يعقوب،** يتم فيه تصنيع صواريخ اريحا2 النووية.

- **موقع كفار زكريا،** يعتبر من اهم المواقع التي تشكل أساسا لبناء منظومة الردع الإسرائيلية، يتكون من خمسين تحصينا تحت الأرض.

- **معهد وايزمان،** يتواجد في هذا المعهد العديد من الأقسام العلمية التي تخدم النشاط النووي كقسم الفيزياء وقسم النظائر.

المعطيات التي يحويها كلا البرنامجين والتي تعتبر بمثابة الأسس والخصائص التقنية للحصول على السلاح النووي تمكن الطرفين من الوصول إلى هذه التقنية، وبوجود هذه الركائز والوسائط النووية اضافة الى جملة التفاعلات بين العناصر الأساسية كفيلة بضمان تحقيق أفضل نتائج للوصول إلى الهدف الأساسي، مما يضع المنطقة أما سلاح نووي إسرائيلي مقابل سلاح نووي إيراني ينذر بمواجهة نووية ستكون نتائجها كارثية.

المحور الثاني: التحديات التي يطرحها كل طرف على الآخر

الكثير من المهتمين بالشؤون الاستراتيجية يرى في أن دوافع إيران لامتلاك الأسلحة النووية موجهة لموازنة القوة الإسرائيلية النووية، لكن الواقع يثبت أن طموح إيران لامتلاك هذه القدرات ناتج عن وجودها بجانب العديد من الأطراف النووية كباكستان، الهند، كازخستان وروسيا ما غذى هذه الرغبة الإيرانية في الدخول ضمن هذا التجمع النووي للحفاظ على مكانتها من جهة، وتعزيز قدراتها الدفاعية والهجومية ضد اي تهديد مستقبلي من جهة أخرى. نفس الأمر بالنسبة لإسرائيل فوجودها الغير شرعي في بيئة رافضة لها ولد لديها الرغبة في بناء مكانتها وقدراتها العسكرية لتجنب أي مواجهة، لذلك فان طموح كل من إيران وإسرائيل النووي في ظل غياب طرف نووي آخر في المنطقة أجج الصراع البارد بينهما.

رافق تطوير البرنامج النووي الإيراني كما عرضنا سابقا جملة من التطورات التي تسعى إلى إعاقته على عكس البرنامج النووي الإسرائيلي الذي لم يلق نفس العراقيل، لذلك فالتهديدات التي تواجهها إيران جعلتها تدرك أهمية المواصلة في بناء ترسانتها النووية إضافة إلى رفع جاهزيتها القتالية وامتلاكها لوسائل الرد. أمام هذه التطورات فامتلاك إيران لمنظومة نووية يطرح جملة من التحديات أمام إسرائيل نلخصها في:

– تعتبر إيران المنافس الوحيد لإسرائيل في المنطقة بإمكانية امتلاكها السلاح النووي بعد زوال الخطر العراقي وبمواصلة تطوير برنامجها النووي، فإنها تعمل للحفاظ على التوازن الإقليمي ومادامت إسرائيل تحتفظ بخيارها النووي فان سعي إيران بالمقابل لموازنة قدراتها سيضغط على إسرائيل إما للتخلي عن أسلحتها النووية(وهذا غير ممكن) والمضي في برنامج إخلاء المنطقة من كل أنواع اسلحة الدمار الشامل، أو اجبارها على الدخول والانضمام إلى معاهدة منع انتشار اسلحة الدمار الشامل.

– تطوير إيران الأسلحة الباليستية والتي يصل مداها إلى العمق الإسرائيلي، فالتنوع الموجود لديها من صواريخ قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدى تساهم في حمل رؤوس نووية يمكن ايصالها بتحديد الهدف المناسب، فإيران اليوم تحمي نفسها بمنظومة عسكرية متنوعة برية ترتكز فيها على أسلحة تعتبر الأحدث في العالم كالصواريخ

المضادة للدروع، وتحمي أجوائها بقوة جوية مكونة من طائرات محلية وأخرى روسية الصنع، أما بالنسبة للقوة البحرية فهي تمتلك أجهزة بحرية متطورة وصواريخ مضادة للسفن بأعداد هائلة ذات صنع محلي وأخر روسي وبأنظمة الكترونية متطورة. وقد اكدت ايران في العديد من المرات على لسان قادتها بأنها سوف ترد على اي هجوم اسرائيلي بإطلاق صواريخ بعيدة المدى والصاروخ شهاب 3 الذي يبلغ مداه من 1300 إلى 1700 كليو متر سيكون من بين الصواريخ المستعملة وهو من صنع كوريا الشمالية(17).

– الردع عبر الوكلاء، فالبعد الجغرافي لعب دورا أساسيا في تنظيم إيران لعلاقاتها مع بعض الفواعل الدولية وغير الدولية المجاورة لها، مما سيتيح لها فرصة النجاح في حال كانت هناك مواجهة مع إسرائيل ما يقود إلى توقف الهجرة الى إسرائيل مقابل زيادة الهجرة خارجها(18).

– وصول إيران الى عقد اتفاق جنيف بينها وبين الدول الكبرى المنعقد في 24 فيفري 2013 إلى الاحتفاظ ببرنامج نووي لأغراض سلمية تحت اشراف ورقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية يشكل أكبر تحدي لإسرائيل التي لطالما ساندت القرار العسكري لمواجهة هذا الطموح مثلما فعلت مع العراق سابقا.

– يشكل نجاح إيران في مواصلة تطوير برنامجها النووي رغم العقوبات والتهديدات الخارجية طيلة 12 سنة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل تحديا حقيقا لإسرائيل، وحافزا لحصول بعض القوى الإقليمية العربية على هذه التقنية والخطوات التي اتخذتها بعض الدول كالأردن وبعض دول الخليج ما هي إلا بداية تنذر بسباق تسلحي في المنطقة.

من جهته يشكل البرنامج النووي الإسرائيلي غير معلن والتطورات التي يعرفها المجال التسليحي لها تحديا أمام إيران فامتلاك إسرائيل لبرنامج نووي وخبرات قديمة ومتطورة في هذا المجال يجعل منها منافسا قويا لإيران مما يحول دون تحرك هذه الأخيرة بسهولة في المنطقة لمحاولة فرض نفوذها وهيمنتها هذا الى جانب تحديات اخرى نذكر منها:

- علاقات إسرائيل ببعض القوى المؤثرة في المنطقة كتركيا وبعض الجمهوريات الإسلامية القريبة جغرافيا من إيران قوي، فشبكة علاقاتها هذه تدخل في اطار استراتيجية البحث عن مناطق من أجل المواجهة في حال الاشتباك المباشر.
- تمتلك ايضا إسرائيل منظومة عسكرية متنوعة برية وبحرية وجوية قادرة على مواجهة أي خصم مما مكنها من تطوير ثلاثية وصائل الإيصال النووية، ويعتبر السلاح الجوي الإسرائيلي من أقوى الأسلحة في المنطقة[19] والتي عرفت من خلاله مسيرة تطورية هائلة تجعلها ندا لإيران خاصة اذا ما تحقق المطلب الإسرائيلي في توجيه ضربة عسكرية.

أمام هذا العداء الذي تعرفه علاقات كل من إيران وإسرائيل، وجمود العلاقات بينهما إلى جانب الحرب الإعلامية أصبحت منطقة الشرق الأوسط تعيش أجواء حرب باردة بين الطرفين في أي لحظة ممكن أن تتحول إلى حرب ساخنة محركها الأساسي السلاح نووي.

المحور الثالث: مستقبل المنطقة في ظل التنافس النووي بين الطرفين

يعتبر السلاح النووي وانتشاره أحد أكثر التهديدات الأمنية التي تواجه منطقة الشرق الأوسط، فأي مواجهة نووية أو تسرب إشعاعي مفاجئ سوف يبيد شعوبها ككل، ووجود كل هذه المنشآت النووية يشكل تهديدا للمنطقة حتى لو كانت لأغراض سلمية إضافة إلى ما سيرافق هذا التفوق التسلحي النووي من اختلالات في ميزان القوى، ومن فرض للشروط ومساومات سياسية وإخضاع دول المنطقة بما فيها العربية لهذا الميزان الجديد[20]. فسعي إيران طيلة هذه السنوات لتطوير برنامجها النووي رغم الضغوط الدولية ما هو إلا دليل قاطع على مكانة هذا المتغير في المنظومة الأمنية، وإدراكا منها لمساهمته الفعالة في تعزيز دورها الإقليمي حاليا والدولي مستقبلا، فإيران وإسرائيل مدركتان لمخاطر المواجهة النووية والانعكاسات التي ستطالهما جراء استعمالهما لهذه التقنية في حرب مباشرة، لذلك يبقى من المستبعد اللجوء إلى هذا الخيار حاليا.



لكن مع هذا تبقى كل هذه المعطيات رهينة التحولات الإقليمية والدولية التي في كثير من الأحيان تفرز لنا واقعا مغايرا ومفاجأ، فمن خلال اطلاعنا على حجم المنظومتين النوويتين الإيرانية والإسرائيلية مع تزايد حدة العداء بين الطرفين يحاول كل طرف ثني الآخر عن لعب أدوار مهيمنة في المنطقة بتنويع طرق المواجهة وإدخال أطراف عديدة في معادلة الصراع في المنطقة، ورغم العمق التاريخي الذي يجمع علاقات إسرائيل بالولايات المتحدة الأمريكية لم تستطع إسرائيل أن تمنع إيران من الوصول إلى اتفاق مع الولايات المتحدة وتخفيف العقوبات المفروضة مقابل إجراءات تخفيض نسب التقدم في برنامجها النووي بما يتوافق ومصالحها، ورغم الظاهر الذي تظهره لنا هذه الاتفاقيات إلا أنها تحمل في خباياها مؤشرات تقارب أمريكي-إيراني قد تكون له انعكاسات على ميزان القوى الإقليمي، ويعتبر مكسبا إيرانيا على حساب إسرائيل.

مع هذا يبقى احتمال وهاجس المواجهة النووية الإيرانية الإسرائيلية قائما، وان حدثت أي مواجهة عسكرية بين الطرفين ستكون الدول العربية المتضرر الأكبر، خاصة دول الخليج بحكم القرب الجغرافي الذي يضعها هدفا لأي حرب قائمة، فالمناورات العسكرية التي تقوم بها إيران لاختبار أسلحتها الصاروخية تعد هاجسا حقيقيا لهته الدول مع تزايد التهديدات الإيرانية بغلق مضيق هرمز، هذا إلى جانب اعتمادها على وكلائها في المنطقة. فمن المؤكد أن أي ضربة عسكرية موجهة لإيران أيا كان حجمها، وبغض النظر عن كونها محدودة أو شاملة سوف يكون مداها موزعا في كل اتجاهات الرقعة الجيوإستراتيجية للشرق الأوسط حيث ستمتد من بحر العرب إلى الخليج العربي، ومن ثم إلى البحر المتوسط بحكم تواجد القوات البحرية الأمريكية في هذه المناطق(21).

يشكل اذا وجود العنصر النووي في المعادلة بين الطرفين مكونا اساسيا حتى وان كان الامتلاك هو خاصية لطرف على حساب الاخر، فكل من اسرائيل وايران لا تريد المهاجمة لوعي اسرائيل من طرفها بالثقل الديمغرافي الايراني والعمق الاستراتيجي

المؤهل لها لان تنفذ الرد الانتقامي، ومن جهتها ايران لا تفكر في ضرب إسرائيل بسبب سلاحها النووي وامكانية استعماله[22].

يطرح في نفس الوقت هذا التنافس النووي، وإمكانية وصول كلا الطرفين إلى اتفاق والقبول بإيران كطرف نووي في المنطقة موازي لإسرائيل احتكارا للمخاوف الامنية من طرف هذه الاطراف مقابل منع أي انتشار في المنطقة مستقبلا، خاصة من طرف الدول العربية كون هته الاطراف ستؤمن المنطقة من أي تهديد للأمن الإقليمي، في حين انه تقليص وتحجيم للدور العربي على حساب الأدوار الأخرى.

هذا إلى جانب أن إيران باتت تدرك طبيعة الوقائع الإقليمية والتغيرات المرافقة لها وتدرك قيمة خياراتها وابقائها للنظام الحالي الذي تبنى موقفا تصالحيا مع الولايات المتحدة الامريكية سيمكن من تخفيف الضغط عليها، ويساعدها على إيجاد فرص لتحقيق طموحاتها باتكالها على القضايا الإقليمية لتسوية وضعيتها والدخول في مفاوضات كطرف قوي وهذا في حد ذاته يعد مكسبا إيرانيا على حساب إسرائيل. في هذا السياق وعبر السيناريوهات التي وضعناها يأتي اتفاق لوزان بين ايران والدول الست(الصين وروسيا، الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، بريطانيا) الذي انعقد منذ 26 مارس الى غاية 2 افريل 2015 ليؤكد على بعض الطروحات التي تم التطرق اليها في المحور السابق، حيث تمكنت ايران من التغلب على العقبات من خلال فرض نفسها كمفاوض قوي مكنها من انهاء المفاوضات باعتراف دولي بسلمية وامكانية استكمالها للبرنامج، كما استطاعت في نفس الوقت رفع العقوبات عنها مما سيجعل من العامل الاقتصادي يلعب دوره مستقبلا لفرض نفسها بشكل قوي، والابتعاد الايراني الحالي عن التواجد المباشر في الساحة السياسية ما هو الا دليل على محاولتها ابعاد الانظار عنها في محاولة جادة منها لاستغلال انشغال بقية القوى الدولية والاقليمية في ازمات الشرق الاوسط واكسابها الوقت لاستعادة قوتها الاقتصادية وترتيب علاقاتها.

خـاتمة:

حـاول هـذا المقـال إبـراز الوضـعية النوويـة في الشـرق الأوسـط مـن خـلال النمـوذجين الإيراني والإسرائيلي ومدى خطورة التطورات التي يعرفها البرنامج النووي الإيراني الـتي تضعه مباشرة أمام الترسانة النووية الإسرائيلية، هذا إلى جانب الاهمية السيكولوجية الـتي أعطـت للسـلاح النـووي الإسـرائيلي قيمـة أكثـر. ومـن خـلال تحليلنـا لطبيعـة البرنـامجين والتحـديات الـتي يطرحهـا كـل برنـامج علـى الاخـر وانعكاسـاتهما علـى الشرق الاوسط نخلص الى النتائج التالية:

إن امتلاك كلا الطرفين للسلاح النووي هو في حد ذاته مرحلة سابقة لاستخدامه، وهـذا مـا دفـع إسـرائيل طيلـة هـذه السـنوات لمنـع أي تطـور ملحـوظ في المنطقـة علـى هـذا المستوى، وبمجـرد دخـول إيـران في غمـار هـذا التحـدي بـدأت التحركـات الإسـرائيلية تتسارع إلى ايقافه من خلال الضغط على الدول الكبرى لفرض عقوبات على إيران أو تهديدها باللجوء إلى التدخل العسكري، لأن وجود قوة نووية أخرى في المنطقة يعني حـدوث اخـتلالات في مـوازين القـوة والمـوازين الاسـتراتيجية والعسـكرية في المنطقـة ككل.

في ظل الظروف والأزمات التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط، وحسن توظيف إيران لقوتها الناعمة والصلبة، وتحويل الضغوط الممارسة عليها باتت إيران فاعلا قويا وذكيا تتخوف إسرائيل منه، مما يزيد من احتمالات المواجهة النووية مستقبلا لتكون المنطقة بهذا المنطق عرضة لتبعات هذه المواجهة، ولمعادلة إقليمية جديدة بتزعم وقيادة أحد الطـرفين للمنطقـة أو زعامـة مشـتركة بوصـول الطـرفين إلى اتفـاق مشـترك يخدم مصالحهما.

أمام هذه التحولات وتزايد النشاط النووي في ظل غياب مشروع نووي عربي منافس خاصـة بعـد زوال البرنـامج النـووي العراقـي، فـان الأمـن القـومي العربـي أصـبح عرضـة للتهديـدات المختلفـة الأطـراف، وهـذا مـا يسـتدعي ضـرورة بنـاء ترسـانة نوويـة عربيـة مشـتركة بمـا أن السـلاح النـووي أصـبح مـتغيرا بنـاء للأمـن ونظامـا جامعـا للاسـتقرار

ولحسم الصراعات الإقليمية في المنطقة، وتفعيل الدور العربي الإقليمي لمنافسة الأدوار الغير عربية.

الهوامش:

(1)- وسام الدين علكة، التحدي النووي الإيراني: حقيقة أم وهم، دراسة علمية قانونية لحقيقة الملف النووي الايراني، 2013، استخرج بتاريخ 2013/5/3 من موقع:
http://wissamaloklah.blogspot.com/2012_11_01_archive.html

(2)- زينب عبد العظيم محمد، الموقف النووي في الشرق الأوسط: أوائل القرن الحادي والعشرين، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2007.

(3)- نفس المرجع، ص 125.

(4)- نفس المرجع، ص 140

(*)- المتعارف عليه أن مفاعلات الماء الثقيل هي الأنسب لتوفير مادة البلوتنيوم الصالحة لصنع الأسلحة النووية، وقد استخدمت كل من الهند وباكستان وإسرائيل مثل هذه المفاعلات للحصول على المادة الانشطارية اللازمة لصنع القنبلة النووية.

(5)- زينب عبد العظيم محمد، المرجع السابق، ص 143.

(6)- راي تقية، إيران الخفية، ترجمة: أيهم الصباغ، الرياض: العبيكان للنشر، 2010، ص 182.

(7)- وسام الدين علكة، المرجع السابق، 86.

(8)- Paul K. Kerr , Iran nuclear program: status, CRS report for congress, October 2012, p23.

(9)- زينب عبد العظيم محمد، المرجع السابق، ص127.

(10)- نفس المرجع، ص 51.

(11)- نفس المرجع، ص ص(53-54).

(12)- أمين حامد هويدي، الصراع العربي الاسرائيلي بين الرادع التقليدي والرادع النووي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، ص 123.

(13)- زينب عبد العظيم، المرجع السابق، ص54.

(14)- نفس المرجع، ص 55.

(15)- أمين هويدي، ص124.

(16)- زينب عبد العظيم، المرجع السابق، ص 57.

(17)- محمد نور الدين عبد العظيم، النشاط النووي الإيراني، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 2009، ص 24.



[18]- فضل طلال العامري، الطريق إلى الحرب: الحرب المحتملة بين أمريكا وإسرائيل ضد إيران وحلفائها، القاهرة: هلا للنشر والتوزيع، ط1، ص 59.

[19]- هادي زعرور، توازن الرعب: القوى العسكرية العالمية، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، 2013، ص 140.

[20]- طلال العامري، المرجع السابق، ص59.

[21]- نفس المرجع، ص76.

[22]- عامر مصباح، المنظورات الاستراتيجية في بناء الامن، القاهرة: دار الكتاب الحديث، ط1، 2012، ص130.